

أراد الله أن يكون الإسلام إعزازاً للفكرة الإنسانية، ولكن بنو آدم يؤذيهم ذلك؛ لأنهم خضعوا لألوف أو ملايين من الأوهام التي تشل القلوب والعقول

كان محمد إنساناً بشهادة القرآن، والقرآن كتاب سماوي نص على أن محمداً إنسان، وبنو آدم يؤذيهم أن يتلقوا الحكمة عن رجل يأكل الطعام وعشى في الأسواق!

وفي غمرة هذه الضلالة نسيت النواحي الإنسانية في حياة الرسول وإلا فمن الذي يصدق أن رجلاً مثل محمد يضع من عمره أربعون سنة بلا تاريخ؟

ولأى سبب ينسى الناس أو يتناسون تلك المدة من حياة الرسول؟

لأنهم يصنعون بتاريخ الرسول ما صنعوه بتاريخ الأمة العربية لأنهم أرادوا أن يخضعوا خضوعاً تاماً للمعجزات، فالتبى لم يكن رجلاً عبقرياً وإنما خصه الله بالرسالة فكتب له الخلود، والعرب لم يكونوا أمة قوية وإنما ارتقوا بفضل الرسول

وما يجوز عند جمهور المسلمين أن يقال: إن الله خصَّ محمداً بالرسالة، لأنه كان وصل إلى أسمى الغايات من الوجهة الإنسانية، ولا أن يقال: إن الله اختار ذلك الرسول من العرب، لأنهم كانوا وصلوا إلى غاية عالية من قوة الروح.

ماذا أريد أن أقول؟

أنا أمشي على الشوك وأنا أقيد هذه الفكرة الفلسفية، لأن بني آدم يحملون جميع الأفكار، إلا الأفكار المتصلة بحيوات الأنبياء ثم ماذا؟

كان محمد إنساناً قبل أن يكون نبياً، وذلك من أعظم المخطوط التي غنمها في التاريخ، نسياني يوم قريب أو بعيد يشور فيه الناس على الأمور النيبية، ولكنهم لا يستطيعون أن يشوروا على عبقرية محمد.

كان محمد في سريرة نفسه إنساناً يخطئ ويصيب، بدليل ما وجَّه إليه من اللوم أو العتاب في القرآن؛ وهو قد خضع للضعف الإنساني فذرف الدمع الساخن يوم مات ابنه إبراهيم، وهو

النواحي الإنسانية في الرسول

للكورنزيكي مبارك



أعتقد أن شخصية النبي محمد لم تُدرس حق المدرس إلى اليوم في البيئات الإسلامية لأن المسلمين يجهلون رسولاً في جميع الأحوال: فهو لا يتقدم ولا يتأخر إلا بوحى من الله، ولا يأخذ ولا يدع إلا بإشارة من جبريل

ومعنى ذلك أن شخصية محمد في جميع نواحيها شخصية نبوية لا إنسانية

يضاف إلى هذا أن جمهور المسلمين يعتقدون أن النبوة لا تُكتسب، وهم يبنون بذلك أنها لا تنال بالجهاد في سبيل الماني السامية، وإنما هي فضل يخص الله به من يشاء وإنما غلبت هذه العقيدة لأن الإسلام نشأ في بيئات وثنية، أو خاضعة للعقيدة الوثنية، والرسول لم يشق بين قومه إلا لأنه حدثهم بأنه بشر مثلهم، ولو أنه كان استباح الكذب فحدثهم بأن فيه عنصراً من الألوهية لوصل إلى قلوبهم بلا عناء

الواقع أن محمداً كان آية من آيات التاريخ، ولكن كيف؟ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم. فبنو آدم يصلحون لكل شيء إلا سماع كلمة الحق

قد عانى الحب والبنفص كسائر الناس ، وهو قد توجع من ظلمات الخطوب ، وهو قد تألم من غدر الأصدقاء ، ثم لم ينبج من الكرب عند سكرات الموت

أحبك أيها الرسول !

أحبك لأنك كنت إنساناً له ذوق وإحساس ، ولم تكن كما بصورك الجاهلون الذين رأوا عظمتك في أن تكون حاكماً لوحى السماء ، وما أنكروا وحى السماء ، ولكنى أؤمن بأن فى السريرة الإنسانية ذخائر من الصدق والروحانية ، وأنت أول نبي أعزى السريرة الإنسانية .

أليس دينك هو الدين الذى تفرد بالنص على أن المرء يتصل بربه بلا وسيط ؟

أحبك أيها الرسول وأشتهى أن أتخلق بأخلاقك السامية . أحب أن أظلم غيظي كما كنت تكظم غيظك . أحب أن أسلم بمجهادى من شهوات النفس كما سلمت بمجهادك من شهوات النفس . أحب أن أفر من الشيطان كما فررت من الشيطان ، على شرط أن أحب الحياة كما أحببت الحياة

أندري لماذا أحبك أيها الرسول ؟

لأنك أول من شرع الديمقراطية بين الأنبياء . ألسنت أنت الرجل الذى كان يتنفل فى أكله ويقول :

« إنما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد »

أندري لماذا أحبك أيها الرسول ؟

أحبك لأنك جعلت الحرب فى سبيل الحق شريعة من الشرائع وهى مزية إنسانية ، وكان الأنبياء من قبلك يكتفون بالتفكير فى عجائب المكوت !

أحبك لأنك أعلنت حبك لطيبات الحياة واحتقرت الرهينة والاتزواء فى المعابد والصوامع

أحبك لأنك انتقلت من المعلوم إلى المجهول

أحبك لأنك أعززت الشخصية الإنسانية يوم اعترفت بأنها صالحة للخطأ والصواب

ولكن ما رأيك فىمن يقاومون الحرية الفكرية باسم النيرة على دينك ؟

ما رأيك فىمن لا يرضيهم أن تكون إنساناً يتذوق أطايب

الحياة ويلهو أحياناً بالمزاح المقبول ؟

ما رأيك فىمن يحاربون الفنون والآداب باسم الدين ؟

ما رأيك فىمن يتوهمون أن الشخصية النبوية مجردة من البهجة والأريحية ؟

ما رأيك فىمن يُحرجون من فردوس العقيدة الصحيحة كل من يتسم بسملة الحب لأطبايب الحياة ؟

أنت حاربت الزهد ، وحاربت العبوس ، وحاربت اليأس ، ولكن بعض الناس يرون الإيمان لا يكمل إلا عند من يفرقون فى ليج المسكنة والكآبة والقنوط

كنت إنساناً أيها الرسول قبل أن تكون نبياً ، وتلك الإنسانية هى التى فتحت صدرك للصفح عن هفوات الناس ، وهى التى جعلتك تنظر إلى ضعفهم بعين العطف ، وهى التى قضت بأن تذوق ملوحة الدمع فى بعض الأحيان

أنت زهت نفسك عن الشعر ، الشعر المحبوس فى قواف وأوزان ، ولكنى لا أزهك عن الشاعرية العالية التى تواجه الوجود بنظير ثاقب ، وقلب حساس

وكيف تخلو من الشاعرية وقد خلوت إلى متاجاة القلب فى غار حراء ؟

كيف تخلو من الشاعرية وقد كنت رجلاً غلاماً يجيد اقتراع المغانى ؟

أنا أعرف لماذا زهت نفسك عن الشعر أيها الإنسان الحساس إنما زهت نفسك عن الشعر لأن الشعراء فى عصرك لم يكونوا عطاء الأرواح

وإلا فأى شعر فأتك وأنت تدعو إلى التفكير فيما خلق الله من غرائب وأعاجيب ؟

أى شعر فأتك وأنت تجعل السير فى الأرض من واجبات الرجال ؟

أى شعر فأتك وأنت الذى أشار بالأفضلية فى الإمامة لمن وهبهم الله حسن الوجه وجمال الصوت ؟

أى شعر فأتك وكان شخصك الكريم قيشارة تنفخى بمحاسن الوجود ؟

الآن عرفت لماذا يرض عليك بعض أتباعك بصفة الإنسانية ،

إنما فعلوا ذلك لأنهم فى ذات أنفسهم لا يؤمنون بعظمة

وهنا تظهر مزية جديدة لذلك الرسول هي تكران الذات ،
فلو كان محمد رجلاً من أمثال فلان وفلان وفلان من الذين تقلوا
أهمهم من حال إلى أحوال للأدنيا بالحديث عما وضع للحياة
من أسول وقوانين

ولكن محمداً كان يحب أن يعيش مسكيناً وأن يحشر بين
المساكين ، وقد جزاء الله خير جزاء ، نخسه بالمظنة في الحياة
وبعد المات

محمد بشر مثلكم يا بني آدم ، وقد دعاكم إلى التخلق بأخلاقه ،
ولم يكتف بذلك ، بل دعاكم إلى التخلق بأخلاق الله إلا الكبرياء
فهل رأيتم إنسانية مثل هذه الإنسانية ؟

محمد تحدث عن هفواته — إن كان له هفوات — ليدلکم
على أن العظمة الحقيقية لا تكون إلا بلهام النفس والحذر من
طغیان الأهواء

كان محمد يقول في صدر خطبته « أيها الناس » أو « يا عباد الله »
وأنتم تقولون في صدور الخطب « أيها السادة » أو « سيداتي ،
سادتي » .

فناملوا الفرق بين العبارتين لتعرفوا أنه كان يبتعد عن تعلق
الأهواء .

استطاع محمد أن يتحدث عن هفوات الأنبياء ، وعجزتم أنتم
عن الحديث عن هفوات الزعماء

فاعرفوا — إن شئتم — أن عظمة محمد من الوجهة الإنسانية
هي تعجيد الصدق والخوف من زيغ القلوب

قد تقولون : إن الله أوحى إليه أن يكون كذلك .

وأجيب بأن أكل خصيصية من خصائص الرجال هي
الصلاحية لتقبل وحى السماء .

وللسماء وحى في كل وقت ، ولكن أين القلوب التي تسمع ؟
إن محمداً حدثكم بأن الرجل يستطيع أن يخاطب ربه
بلا وسيط .

فإن السلم الذي فهم أسرار الحروف وأبحه بقلبه إلى مناجاة
فاطر الأرض والسموات ؟

أين السلم الذي تأدب بأدب الرسول فمرف أنه مستول
أمام الله لا أمام الناس ؟

والآن أرجع إلى نفسي فأقول :

الإنسانية ، أما أنت فقد رميت بالكفر كل من يريد أن يخلع
عليك ثوب الألوهية لأن الله خصك بأجل مزية من مزايا
الإنسانية وهي الصدق

لقد فكرتُ مرّات كثيرة من الاقتراب من روحك فلم يمضي
عائق لأن بيني وبينك وشيجة من الإنسانية

ودعاني الشوق مرّة إلى مسامرة خيالك فرأيتك إنساناً
كاملاً لا تقع عينه على غير الجليل من شمائل الأصدقاء

وصحبتك مرّة في بعض غزواتك فهالني أن تكون رجلاً
نبيلاً يصبر على الظأ والجوع والأذى في سبيل الحق

وشهدتك وأنت تنامي الكرب من فضول الناس وتزيد
المتأففين وتقول السفهاء ففرقت أنك إنسانٌ ممتاز ، لأن الابتلاء
بأذى الناس لا يكون إلا من حظوظ المتأزين بين الرجال

وشهدتك يوم الموت وأنت تواسي ابتك فتقول : « لا كرب
على أيك بعد اليوم » ففرقت أن الكرب في الدنيا مقصور
على عطاء الرجال .

شهدتُ من أخلاقك وشمائلك ما شهدتُ ، أيها الإنسان
الكامل ، فزدتُ اقتناعاً بأنك على خلقٍ عظيم

ولكن ما هي العظمة في خلقك ، أيها الرسول ؟
أنت رويت القرآن عن جبريل فيما يقول المؤمنون ، وأنشأت

القرآن فيما يقول الملحدون . وهذا القرآن فيه لوم كثير وجه
إليك ، فإن كان وحياً من السماء فأنت غاية الغايات في أمانة التبليغ ،
وإن كنت أنت منشيئ ذلك الكتاب كما يقول الملحدون فأنت

غاية النفايات في أدب النفس ، لأنك سجلت ما أخذت به نفسك
في كتاب مجيد

وأن الرجل الذي يدين نفسه بنفسه كما صنعت أنت حين رويت
القرآن أو حين أنشأت القرآن ؟

لقد وضعت أعظم دستور للسريّة الإنسانية ، وهو دستور
الصدق ، يا أصدق من عرف التاريخ من الرجال

أما بعد فقد ارتاض القول بعد جوح ، وصار من السهل
أن أحكم بأن النبوة عهد من عهود العظمة في الطبيعة الإنسانية ،
ولولا خوف الفتنة لودت هذا المعنى تفصيلاً إلى تفصيل

محمد إنسان ، ولكنه إنسان مظلوم ، لأن أتباعه جردوه
من فضل الاجتهاد في سبيل الخير والحق والجمال